ادوارد سعيد ونصير عروري : الخطاب الفلسطيني في البيت الأبيض *

* نقلاً عن جريدة السفير ١٨ ايلول

يرى عضوُ المجلس الوطني الفلسطيني وأستاذُ العلوم السياسية نصير عروري أنّ اتفاق الحكم الذاتي يعطي للفلسطينيين «حقوقاً بلدية لا حقوقاً وطنيةً» وبعد أن يُشير عروري إلى تحول الحركة الفلسطينية بعد حرب العام ١٩٦٧ من حركة تحرّر طليعية عربية وفلسطينية، إلى حركة فلسطينية ضيقة الأفق بسبب انغلاقيّة قيادتها ورفضها ممارسة الديمقراطية، يُضيف أنّ هذه الحركة «جاءت إلى واشنطن للاستسلام، لا لقبول الصهيونية وهيمنة اميركا فحسب، بل لتعتذر عن نضالها السابق وتصفّه ضمناً بأنّه نوع من العنف وهذا هو جوهر رسالة عرفات إلى رابين»

ويرى سعيد، الذي انتقد الاتفاق ومنظمة التحرير في كتاباته، أنّ الاتفاق يُلغي القضية الفلسطينية كما كان يتصورها أولئك الفلسطينيون والعرب الذين ناضلوا من أجلها وأيدوها أجيالاً طويلة «فهي تعني لنا أكثر من مجرد اتفاق سياسي، لقد كانت تمثل رؤية معينة للمستقبل، وقيما معينةً، والرغبةً بإقامة مجتمع ديمقراطي ومتسامح بعد سنوات الاقتلاع والنفي.»

ولكنّ سعيد يصرّ على أنّه بالرغم من اتفاق الحكم الذاتي «فإنّ المعركة مستمرة لصيانة جوهر القضية» ويُشير إلى أنّ الاتفاق يتجاهل نصفَ الشعب الفلسطيني المقيم خارج فلسطين التاريخية، ويؤكد ضرورةَ التفاف الفلسطينيين وأصدقائهم، وبخاصة أولئك الموجودين في المنفى «لكي ننظم أنفسنا، ولنضمن أن حقوقنا لن تُلغى سواء في الأمم المتحدة أو خارجها والأهم من كلّ هذا أن نضمن أنّ صوت النضال الفلسطيني وتاريخ هذا الشعب وتضحياته وإنجازاته سوف تستمر ولن يتم إخراسها»

ويرى سعيد وعروري أنّ هناك محاولات لتشويه القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي تتم على أكثر من مستوى ويسخر عروري من ادّعاءات المسؤولين في «م ت.ف» أنّ الاتفاق يعكس وجود حالة توازن بين الطرفين أو أنه يُشكّل اعترافاً مُشتركاً بين ندّين ويؤكد أنّ «الاتفاق مبني على الافتراض بأنّ هناك منتصراً ومهزوماً، وهناك افتراض بأنّ الظلم الأخلاقي الذي حدث إنّما حدث على يد الفلسطينيين ولم يكن الفلسطينيون ضحيته»

ويؤكّد إدوارد سعيد أنّ الاتفاق أدّى إلى إمرين «الأمر الأوّل أنّ الخطاب السياسي الفلسطيني، الذي كان مرتبطا بالنضال، قد خطفته إسرائيل التي تقول الآن إنّ الاتفاق يُمثّل تضحية كبيرة من قبلها بينما يبدو الفلسطينيون الآن وكأنهم مجموعةٌ من رجال الأعمال يبحثون عن صفقةٍ والأمر الثاني أنّ الاتفاق أجّل مرةً ثانية قول الحقيقة» من قبل م.ت.ف

ويتابع سعيد، الذي كان انتقد قيادة المنظمة في السابق بسبب ممارساتها غير الديمقراطية «ولكننا الآن نرى هذه الرغبة المشينة من قبل القادة لكي نُظهر للعالم مدى براعتنا، وكيف نجحنا في التوصل إلى هذا الاتفاق بالرغم من واقعنا المرّ إنّ هذا أمر مُهين»

ورأى سعيد أنّ الاتفاق «يؤكد مرة أُخرى سيطرةَ الإمبراطورية الأميركية، وأنّ القيادة الفلسطينية رمتْ بنفسها في أحضان أميركا وإسرائيل قائلةً لهما افعلا بنا ما شئتما»

وتابع سعيد «سنواتٍ طويلةً كنت أجدُ خلال سفري في جميع أنحاء العالم أنّ النضال الفلسطيني كان رمزاً لقضيةٍ لم يتم تشويهها أو احتواؤها لقد تغيّر الوضع الآن وتمّ احتواء القضية وكما قال عاموس أوز (الروائي الإسرائيلي) قبل أيام، فإنّ ١٣ أيلول هو يوم ثاني أكبر انتصار في تاريخ الصهيونية»

ويلتقي سعيد وعروري وغيرهما في القول بأن الاتفاق يحوّل الأرضَ الفلسطينية من أرضٍ محتلّة إلى أرضٍ مُتنازَع عليها، ويعني عملياً أنّ لإسرائيل أن تطالب بحقوق لها مثل حقوق الفلسطينيين كما أنّ الاتفاق يؤجّل بحثَ جميع المسائل الجوهرية مثل القدس والسيادة والمياه والأرض وغيرها، ويلغي الانتفاضة، ويتجاهل حقوق اللاجئين منذ حرب ١٩٤٨، ويفسخ العلاقة العضوية بين فلسطين والعرب

ويضيف سعيد «نصف الشعب الفلسطيني في الخارج، سواء في لبنان أو سوريا أو الاردن وغيرها، لم يُتركوا وحدهم فحسب، بل خلق لهم الاتفاق مشاكل جديدة وخطيرة، بينهم وبين الدول المضيفة»

وانتقد سعيد بشدة خطابَ عرفات في البيت الأبيض «لقد ألقى رابين الخطابَ الفلسطيني، لأنه تحدث عن شعبه وتعرُّضهم للظلم والمنفى والإرهاب هذا كان جوهرَ خطابنا نحن منذ عقودٍ، وسُرِقَ منّاالآن» ويتابع سعيد «وفي المقابل تحدّث عرفات بلغة رجال الأعمال البيروقراطية لم يكن خطاب عرفات وفاقياً الى آخر مدى فحسب، بل كان دون رؤية ودون قيم لم يكن هناك أي ذِكر للمعاناة الفلسطينية أو للانتفاضة أوللتوق إلى فلسطين».

ويعطي عروري تقييماً مماثلاً حين يقول إنّ رابين أعاد كتابة التاريخ بشكل يناسبه، حين أشار إلى أنّه مضطر لصنع السلام مع «إرهابي». ولكنّ خطاب عرفات كان «مفاجأةً مرة فقد تجاهل العذابَ الفلسطيني، وكأنّ التاريخ الفلسطيني وما فعلته الصهيونية بالفلسطينيين والعرب غائبان عنه ولذلك نجد وضعاً غير طبيعي في هذا الخطاب· فهناك حركة صهيونية يقول ضحيتُها إنّه يقبلها ويريد علاقة طبيعية معها» وتساءل عروري عن معنى محاولات إسرائيل وأميركا إلغاء بعض قرارات الجمعية العامة المتعلقة بتأكيد الحقوق الفلسطينية وغيرها من القرارات وقال إنّه لا يستبعد أن تطلب إسرائيل من الفلسطينيين أن يعتبروا الصهيونية حركةَ تحرر وطنية وتابع «يريدون منا أن نساعدهم في تنظيف تاريخهم، ويريدون منّا أن نبرّئهم»

اتفاق لا يضمن قيام دولة ولا يحلّ القضايا الجوهرية

يحيى يخلف**

** روائي فلسطيني (نقلا عن الحياة ١٢ ايلول)

يبدو مشروع الاتفاق بين إسرائيل ومنظّمة التحرير كما لو أنّه وُلد من رحم اليأس والإحباط، وخرج من شقوقِ العجز والضعفِ الذي أصاب السياسةَ العربية بشكل عام، والسياسة الفلسطينية بشكل خاص إنّه يعكس مرارة التباين والانقسام والضعف في الصف العربي· فكلٌّ في منفاه، وكلٌّ يسكن جزيرته، وكلٌّ يفكر بالمصالح قبل المبادئ، وبالقطري قبل القومي، وبالامتثال للسائد في الوضع الدولي والتكيف معه ولا شكّ أنّ الكثيرين سيزيّنون ما هو قبيح، وسيجدون الحجج البليغة لتجميل التنازلات وتمريرها، وتجريعنا المر الواقع في وقت تبدو فيه البدائل غائبة أو لم تنضج شروطها بعدُ

الاتفاق في حقيقة الأمر يشكل حلاً مريحا لإسرائيل قبل أن يشكّل شبه حلٍ للقضية الفلسطينية ولعلّه من دواعي السخرية أن تذكرَ ديباجةُ المقدمة للاتفاق أنّه يسعى للوصول إلى «تسوية سلمية عادلة وشاملة ودائمة» فالحل العادل كان ولايزال قيامَ الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كامل التراب الوطني الفلسطيني، وكلُّ البرامج المرحلية التي أقرّتها المجالسُ الوطنية هي خطوة على طريق تحقيق هذا الهدف أما ما حواه الاتفاق فإنّه يحقق صلحاً مع الكيان الصهيوني بالتقسيط المريح، من دون أي التزام حقيقي من الجانب الإسرائيلي بالحقوق المشروعة والثابتة للشعب الفلسطيني

ويسعى الجانب الإسرائيلي إلى فك ارتباط القضية

الفلسطينية مع محيطها القومي، بالتأكيد على أنّه اتفاق ثنائي غير مشروط وغير مرتبط بالقضايا الأخرى، وأنّه يعطي اسرائيل حرية المناورة تجاه المسارات العربية الأخرى. وفي الوقت نفسه،فإنّه لا يقدم أيّ ضمانات لبروز كيان فلسطيني مستقل، على رغم حجم التنازلات المقدمة من الجانب الفلسطيني ومنها الاعتراف والصلح الكامل والتطبيع والتعاون الاقتصادي وفتح الباب أمام إسرائيل لتكون ضمن نطاق اقتصادي تنموي شرق أوسطي

وإذا كان الاتفاق لا يضمن قيام دولة مستقلة، فإنّه لا يضمن أيضاً حلاً لقضايا كانت تُعتبر خطاً أحمرَ، ومن المفروض ان تظل كذلك مثل قضايا القدس، وحق العودة، والمستوطنات ..

فموضوع القدس تمّ تغييبه إلى المرحلة النهائية تحت إصرار إسرائيل على أنّها ستبقى عاصمة موحّدة لاسرائيل. وفي خطاب أمام الكنيست قال رابين «أصررنا على أن لا يشمل الاتفاقُ القدسَ، لا في اطار التسوية الجزئية ولا في إطار التسوية الشاملة، فالقدس لن تكون مشمولة في أي مجال».

كذلك، فإنّ الاتفاق لم يضع حداً للاستيطان، وزاد بأن وفّر الحمايةَ للمستوطنين بالإقرار بحق اسرائيل في حمايتهم، وحقِّهم في التنقل عبر الطرق والقرى والمدن، وربما في توسيع المستوطنات تحت ذرائع أمنية فالمستوطنات في التصوُّر الاسرائيلي لن يجري تفكيكها، لا في الضفة الغربية، ولا في قطاع غزّة إنّ الأمن كلّه في يد إسرائيل، أمن المستوطنات وأمن خطوط المواجهة. وفي تعبير إسرائيلي وقح هناك نصٌ في الاتفاق يؤكد أنّ إسرائيل تتحمّل مسؤولية الدفاع ضد المخاطر الخارجية . فما هي المخاطر الخارجية التي تُهدِّد شعبنا؟!

أمّا حق العودة فغير منصوص عليه، وكلّ ما هنالك أنّ موضوع اللاجئين سيناقَش في مفاوضات «الوضع النهائي» أي أنّه سيناقَش بعد أن يتم الاعتراف والصلح والتطبيع السياسي والاقتصادي ويصبح موضوع اللاجئين – والحال هذه – من المواضيع غير القابلة للحل، مع أنّه موضوع أساسي لأنّه يتعلّق بمستقبل الغالبية العظمى من أبناء شعبنا وبمصيرهم، ولأنه يستند إلى قرار شرعية دولية هو القرار ١٩٤ إنّ القلق الكبير الذي يعيشه شعبنا في الشتات يطرح أسئلة كبيرة حول المستقبل والمصير، خصوصاً أنّ الغموض يضع الناس بين سندان الضياع ومطرقة التوطين

وإذا كانت صورةُ ما يُسمّى بالحل الدائم غامضةً ايضاً، لأن اسرائيل لم تقدِّم أيّ إلتزام بشأن شكل الحل الدائم، فإنّ الحل المؤقت أيضا هو حلّ من دون ضمانات فغزّة وأريحا لن تكونا في أي حال من الأحوال «الفاكهاني» أو «فتح لاند» حيث كانت غابة البنادق والزمن الذهبي للكفاح المسلّح إنّ مرحلة غزّة –أريحا هي مرحلة اختبار، ومن المطلوب فيها أنْ تقدِّم منظمةُ التحرير البرهانَ على أنّها تغيّرت تغيُّر برنامجَها، وتغيرتْ أهدافُها، وتغيرت وسائلها وإنّ أيَّ تغيير أو خروج على الاتفاق من شأنهما أن يجعلا إسرائيل تعيد احتلالها لهاتين المنطقتين، من دون أن يثير ذلك ردودَ فعل كبيرة.

ومن الجدير بالذكر أنّ الاتفاق في ملحق رقم (٥) أكّد حق القوات العسكرية الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين في مواصلة الاستخدام الحر للطرق في قطاع غزة ومنطقة أريحا . فأين الانسحاب إذن؟!

ستستفيد إسرائيل من الدعاية الهائلة التي ستجلبها منافعُ الاتفاق المذكور وستبدو أمام الرأي العام «دولةً محبّة للسلام» من دون أن تقدم كلّ الاستحقاقات التي يتطلبها هذا التعريف، وهي الدولة العنصرية التي قامت على القتل والتشريد وسيُفتح أمامها بابُ المساعدات والدعم وأموال «مشروع مارشال» والقارئ للملاحق الاقتصادية المرفقة بالاتفاق سيصيبه الفزعُ من هذا التطبيع الذي يستطيع القويُ بموجبه أن يبتلع الضعيف، بينما تظل غزّة وأريحا وبقية المناطق تعيش وعودَ إسرائيل والإدارة الأميركية بتحسين أحوالها من خلال هيئة الامم (الاونروا، وبرامج التنمية)

وهكذا، فالاتفاق المذكور ما هو الا تسوية جزئية، إسرائيل هي المستفيدة منه، لأنّها لم تقدم تنازلات في موضوع القدس، وفي موضوع الاستيطان وكذلك الأمن كما أنّها لم تعطِ أيّ التزام واضح بشأن الوضع الدائم. لقد حصلت على الصلح والاعتراف، وفُتح الباب أمامها سياسياً واقتصادياً لتكون دولة شرق أوسطية من دون أن تلتزم حقَّ تقرير المصير للشعب الفلسطيني

ويطرح الاتفاق أسئلةً كبيرة حول مستقبل منظمة التحرير، وحول بنية الحركة الوطنية الفلسطينية، وحول الوحدة الوطنية، وحول تطوّر أو تراجع الفكر السياسي الفلسطيني فلقد هزّ الاتفاق أُسس الصراع العربي–الإسرائيلي، فلم يعد هناك وضوح في البرنامج السياسي الفلسطيني، ولم يعد أحدٌ يعرف ما هو الثابت وما هو المتغيِّر

لقد انهارت أُسسُ الصراع العسكرية، كما انهارت أُسسُه السياسية، فهل ستنهار أُسس الصراع الفكرية والثقافية والعقائدية؟!

أنا أؤمن بأنّ جبهة الكلمة والثقافة ماتزال قائمةً، لأنّ الكلمة لم تلقِ سلاحها، وقد تضاعفت التحدياتُ أمام المثقف الفلسطيني والعربي فالمثقف سيبقى حارساً أميناً للفكرة، مُدافعاً شجاعاً عن حقوق شعبه، متصادماً بلا هوادة مع الصهيونية وأفكارها العنصرية، ورافضاً في الوقت نفسه الصلحَ والاعترافَ والتطبيعَ والاستسلامَ

اتحاد الكتّاب العرب

دان الاتحادالعام للأدباء والكتّاب العرب الاتفاق الفلسطيني –الاسرائيلي على حكم ذاتي في غزّة وأريحا، ودعا إلى«مقاومته وإسقاطه بكل الأساليب وعلى جميع المستويات» وطالبت الأمانة العامة للاتحاد «الكتابَ والمثقفين العربَ الذين يمثّلون ضميرَ أُمّتهم وروحَ التحدّي لديها بالوقوف بحسمٍ ووضوح ضد هذا الاتفاق/ الكارثة وفضْح أخطاره والنتائج المترتبة على تنفيذه» وتوقّع الاتحاد أن يسفر الاتفاق عن «إنهاء الانتفاضة الشعبية او إضعافها إلى أقصى حدٍّ ممكن، بل ربما فتح المجال لاقتتال دموي بين الفلسطينيين أنفسهم»

ووصف الاتحادُ العام الرأي القائلَ بأنّ «القضية الفلسطينية تخصّ الفلسطينيين وحدهم» بانه اعتقاد باطل لأنّ هذه القضية تخص كلّ عربي ومسلم أينما كان موقعه»

وجاء أيضاً في البيان أنّ الاتفاق «يصادر المستقبلَ الفلسطينيَّ لا بالنسبة إلى فلسطين كلها فحسب، بل بالنسبة إلى الضفة والقطاع كذلك، إذ إنّه لا يتضمن إقراراً واضحاً من قِبل العدو الصهيوني بالانسحاب مستقبلاً من كل الاراضي التي احتلّت عام ١٩٦٧»

وأضاف أنّ «مخطط العدو الصهيوني يستهدف من خلال هذا الاتفاق تمزيقَ الأرض الفلسطينية والقضية الفلسطينية وتفتيتها وتحويلها إلى شظايا متناثرة ومتنافرة، وهوما يُسهِّل ضبط كل شظية منها والسيطرة عليها سواء على أرض الواقع أو طاولة المفاوضات»

اتحاد الكتاب اللبنانيين

لم يكن أحدٌ يتوقّع هذا السقوط المريع لمنظمة التحرير الفلسطينية في فخّ المكر الصهيوني، والتواطؤ الأميركي

ولم يكن أحدٌ يتوقّع أن يكافأ من وقف إلى جانب القضية الفلسطينية، واعتبرها قضية قومية، بالنكران والعقوق، وتعمّد الإضرار بمصالحه الوطنية، فضلاً عن الإضرار بالمصلحة القومية المشتركة

إنّ اتفاق غزة/ أريحا أولاً ليس هزيمة لمنظمة التحرير الفلسطينية ولكن هزيمة للأنظمة العربية جميعاً،

هزيمة تنزلها هذه المنظمة بنفسها وبالعرب، بالتواطؤ مع فريق منهم، ومع كلّ القوى التي تساند إسرائيل، وتعاضد الصهيونية العالمية

إنّ هذا الاتفاق معناه شطب فلسطين من الخارطة العربية، وإطلاق يد إسرائيل بالمقدرات الاقتصادية للوطن العربي، وهو المدخل الشرعي للعدو لكي يمارس التخريب في الكيانات العربية، ولكي يجر هذه الكيانات إلى بيت الطاعة الأميركي - بوصاية إسرائيلية!

إنّنا في اتحاد الكتّاب اللبنانيين، من منطلق وطني وقومي، ندين هذا الاتفاق وندعو الخلايا الحيّة في الجسد العربي لمقاومته والحيلولة دون تنفيذه على الأرض، وننبّه شعبنا اللبناني إلى وجوب التماسك والحذر، لمواجهة أخطار هذا الاتفاق وانعكاساته السلبية على مصالحنا الوطنية، وأخصّها الأمنية والاقتصادية والديموغرافية

المساومة بعد العزلة والتعب!

إدوارد سعيد*

إنّ «الانفراج التاريخي» الذي أعلنت عنه أخيراً منظمةُ التحرير الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية هو قرار مشترك للدلالة على مرحلة مصالحة جديدة بين عدوّين غير أنّه أمنياً يترك الفلسطينيين الطرفَ الأدنى مرتبةً، إذ ستظلّ إسرائيل مسؤولةً عن القدس الشرقية والمستوطنات والسيادة والاقتصاد ومع أني لا زلتُ مؤمناً بإمكان التوصل سلمياً الى حل يقوم على وجود دولتين، إلا أن مشرق السلام الذي اقتُرِح فجأةً يثير أسئلة كثيرة

فالمشروع ليس واضح التفاصيل (ولا يبدو أن ثمة من يحيط بكل جوانبه)، ولم يتّضح منه سوى خطوطه العريضة فبموجبه ستتبادل منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل الاعترافَ إحداهما بالأخرى، وستسمح إسرائيل بـ «حكم ذاتي محدود» و«نقل مبكر للسلطات» إلى الفلسطينيين في قطاع غزة وأريحا (وهي مدينة صغيرة في الضفة الغربية) وأفادت الأنباء بأنه سيُسمح للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بحق الزيارة لا الإقامة، وسيُسمح لبضع مئات من أعضاء جيش التحرير الفلسطيني الذين يوجدون حالياً في الأردن بمعالجة الأمن الداخلي، أي القيام بمهمة الشرطة

كما سيكون الإشراف الإداري على الصحة والتعليم وخدمات البريد والسياحة بيد الفلسطينيين وسيُعاد نشر الجيش الاسرائيلي في مواقع تبعد عن المراكز الماهولة بالسكان، غير أنه لن ينسحب على الفور وسيبقى الإشراف على الأراضي، والمياه، والأمن العام، والشؤون الخارجية في هذه المناطق التي تتمتع بـ «حكم ذاتي» بيد إسرائيل

وستظل إسرائيل تسيطر لفترة غير محددة على الضفة الغربية، بما في ذلك الممر الذي يربط غزة وأريحا، وجسر اللنبي المفضي الى الاردن. وستسيطر تقريباً على جميع مصادر المياه والأرض التي أخذت أصلاً نسبةً كبيرة منها. ويبقى السؤال أيُّ قدرٍ من الأرض ستتنازل عنه إسرائيل في مقابل السلام؟

ودار لغطٌ كبير عن مبالغ ضخمة قيل إنها ستُخصّص للتنمية. فقد ذكرتْ صحيفةٌ عربية مرموقة أنّ عرفات حوّل ٢,٧ بليون دولار لصالح الصفقة، وافتُرِض أنّ الضفة الغربية ستحصل على ٨٠٠ مليون دولار إضافي وذُكر أنّ حكومات اسكندنافية تعهّدت بتقديم مبالغ ضخمة لتنمية الضفة الغربية وقطاع غزة. ويُتوقع أن يُطلب من الدول العربية والولايات المتحدة تقديم أموال، وذلك على الرغم من أنّ الفلسطينيين متشائمون تشاؤماً تُبرره الوعود السابقة التي لم يُوفَ بها

ومن الواضح أنّ منظمة التحرير الفلسطينية حوّلت نفسها من حركة تحرير وطني إلى مايشبه حكومةً بلدية صغيرة تتزعمها الحفنة نفسها من الأشخاص. وأُغلقت مكاتبُ المنظمة في الخارج، أو بيعت، أو تمّ تجاهلها عمداً مع أنها كانت نتيجة كفاحٍ مضنٍ دام سنوات أسفر عن منح الفلسطينيين حقهم في تمثيل أنفسهم وقد يكون المشروع بالنسبة إلى أكثر من ٥٠ في المئة من الفلسطينيين الذين لا يقيمون في الأراضي المحتلة - ٣٥٠ ألف لاجئ في لبنان، وضعف ذلك العدد في سورية، وكثيرون في دول أخرى - بمثابة خروج نهائي ويبدو أنّ حقوقهم الوطنية باعتبارهم شعباً اضطر إلى اللجوء في عام ١٩٤٨، وهي حقوقٌ أكدتها عبر السنوات قرارات الأمم المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية والحكومات العربية بل معظم دول العالم، قد أُبطلت الآن

لا توجد صفقة سرية بين شريكٍ قوي للغاية، وآخر ضعيف للغاية، إلا وتنطوي بالضرورة على تنازلات يحرص الأخيرُ من فرط الارتباك على إخفائها فلا تزال هناك تفاصيل كثيرة مما يتعين التفاوض بشأنه، وهناك بالمثل أشياء عدة غير قابلة للوزن بدقة يتعين إيضاحها، بل ثمة آمال إما أن تُحَقَّق أو يتم القضاء عليها

وعلى رغم كل شيء فإن الصفقة التي بين يدينا تنبئ عن تعب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعزلتها، وعن دهاء إسرائيل. فكثير من الفلسطينيين يسألون أنفسهم لماذا يتعين علينا بعد سنوات من التنازلات أن نتنازل مرة أخرى لصالح اسرائيل والولايات المتحدة في مقابل وعود وتحسينات غامضة في ظروف الاحتلال لن تُؤدّي حتى إلى إجراء محادثات «الوضع النهائي» بعد فترة تراوح بين ثلاث وخمس سنوات، بل ربما لا تحدث حتى ذلك الوقت؟

ولم نر حتى إقراراً واضحاً من جانب إسرائيل (التي لم تعترف بعد بأنها سلطة احتلال) بإنهاء الاحتلال الذي تواكبه سلسلة من القوانين والأنظمة الجزائية المعقّدة ولم يرد شيء عن الـ ١٣ ألف معتقل سياسي فلسطيني الباقين في السجون الاسرائيلية

يجب أن نُضمِّن ما سيوقَّع نصاً يقضي بأنّ للفلسطينيين الحق في الحرية والمساواة، ولا تنازل عن ذلك الحق وهل سيتدخل الجيش الاسرائيل متى أراد؟ ومن الذي سيقرر ذلك؟ ومتى؟

ذلك أن «الحكم الذاتي» المحدود في نهاية المطاف ليس شيئاً يحشد حوله الناس أو يقدم لهم فيه أمل بعيد المدى. ويجب، قبل كل شيء، أن يكون للفلسطينيين الآن أكبر سلطة ممكنة في شأن تحديد مستقبلهم الذي تجري الاستعدادات على نطاق واسع لتسويته بشكل يحتمل أن يتسم بعدم الحكمة وقد لا يمكن إصلاح تسويته تلك

ومما يثير القلق أنّ المجلس الوطني الفلسطيني لم يُدْع إلى الانعقاد. كما أنّ الانشقاق المثير للاشمئزاز الذي نجم عن الأساليب التي انتهجها عرفات أخيراً لم يعالج وكان العضوان المستقلان حقا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية محمود درويش وشفيق الحوت قد استقالا احتجاجاً ويُقال إنّ آخرين يدرسون الإقدام على خطوة مماثلة وقال الحوت إنّ عرفات أضحى أوتوقراطيا تحولت إدارته للشؤون المالية الفلسطينية إلى كارثة، والأسوأ من ذلك أنّه ليس مسؤولاً أمام أي جهة وأعتقدُ أنّ حفنة أشخاص، بينهم عرفات، لا تملك سوى خلفية تاريخية ضئيلة أو خبرة ضئيلة بالحياة المدنية العادية، قابعة في تونس، تتخذ قرارات تمسُّ حياة نحو ٦ ملايين نسمة

لم تكن هناك مشاورات يمكن الحديث عنها، ولا تنسيق مع لبنان وسوريا والأردن وفي الأراضي المحتلة زادت ممارسات الاحتلال استفحالاً في سوئها على رغم انعقاد عشر جولات من المفاوضات غير المثمرة وعندما كنتُ هناك خلال الصيف لم أقابل أحداً إلّا وقرن بين الأمرين، مُلقياً اللوم على عرفات وأعضاء الوفد الفلسطيني بدرجة متساوية وفي تموز (يوليو) استقال ثلاثة من أعضاء الوفد بعدما أنحوا باللائمة

* استاذ الادب المقارن في جامعة كولومبيا الامريكية (نقلاً عن جريدة الحياة ١١ ايلول)

على أساليب عرفات غير الديمقراطية وأشاروا ضمناً الى أنهم بعدما بلغوا طريقاً مسدوداً مع الاسرائيليين فتح عرفات قناةً سرية لمفاوضاته هو مع الاسرائيليين ولكنهم أعيدوا لاحقا إلى الصف ليتركوا لزميلهم المحترم القادم من غزة ورئيس الوفد الدكتور حيدر عبد الشافي إصدار البيانات الداعية إلى «الإصلاح والديمقراطية»

لم يشهد الفلسطينيون أزمة داخلية أسوأ من هذه التي بدأت الصيف الماضي، ومنظمة التحرير الفلسطينية تعيش تمزقاً وتشوهاً، والأوضاع في الأراضي المحتلة بلغت ذروة السوء وهي الأزمة التي لم تبدأ حتى لجأ عرفات إلى المشروع الاسرائيلي الذي أعاده بضربة واحدة إلى قلب الساحة، وخلّص الاسرائيليين من مشكلة تمرد لا يريدونها وعلى عرفات أن يعمل على حلّها لهم

تعجبني تلك القلّة من المسؤولين الفلسطينيين الذين يؤكدون بشجاعة أنّ هذه التطورات قد تكون الخطوة الأولى لإنهاء الاحتلال غير أنّ كل من يعرف خصائص أساليب ياسر عرفات خير له أن يبدأ العمل من اجل إحداث تحسين جذري في الأوضاع الراهنة

لا توجد بالطبع تسوية سياسية لنزاع طويل ودامٍ يمكن أن تناسب جميعَ الظروف وقد يعني الاعتراف من جانب اسرائيل والولايات المتحدة في نهاية المطاف تحقيق طموح شخصي للبعض، لكن ليس ضرورياً أنّ ذلك يعني تلبية احتياجات الفلسطينيين أو حل أزمة القيادة إنّ نضالنا يتمحور حول الحرية والديمقراطية وهو نضال علماني وكان ديمقراطياً زمناً طويلاً حتى السنتين الماضيتين

لقد أوقف عرفات الانتفاضة من جانب واحد وهذه العملية قد تُنتج مزيداً من التشريد وخيبات الأمل والنزاع الذي لم يعد بخير على الفلسطينيين والاسرائيليين على السواء

وقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية (وهي مؤسستنا الوطنية الوحيدة) بزعامة عرفات خلال السنوات الأخيرة أن تحشد أتباعها المشتتين وأن تستقطب أفضل مواهب شعبها وقد تسعى الآن إلى استعادة الولاء والخضوع الذين تتوقعهما قبل أن تتردّى في مرحلة جديدة، بعدما بدا أنها رهنت مستقبلها من دون نقاش جاد، ومن دون استعداد كاف، ومن دون أن تُبلغ شعبها الحقيقة الكاملة والمرّة فهل يمكنها أن تنجح وتبقى مع ذلك ممثلاً للشعب الفلسطيني؟

باختصار شديد

المتوكل طه*

-١-

من البدء كُنّا نُغنّي لهذا السقوط، ويسقط رُمانا
في الدروب اشتعلنا على وهجٍ من كلام، تركنا
أساورَ أزواجنا للخنادق، قلنا الذي سوف يأتي
سيأتي على جُثثٍ من عطورٍ وسجنٍ ومنفى.
ومُتنا لنعلو فوق السياط أو الصوت، متنا قبيل
ولادتنا بالرصاص، احتملنا، وقلنا نموتُ ليعلو
على السور عُشبُ الدماء وحلم الصبايا وقلنا
نموتُ لتبقي السفاراتُ - رغم الكؤوس - استطالتَنا
في البلاد وقلنا نموتُ، ومَن يسرق الثوبَ من
كفنٍ للشهيدِ يُعريه أطفالُنا في الصفوف، وقلنا
نموتُ لنوصلَ أحلامنا للبحار، فلا باسَ من
تكتكات التفاوض، لا باس، قادتُنا أصلُوا في
أناشيدنا دَمهم، لن يضلُّوا الطريق وبوصلةُ
الشعبِ أقوى من التكتكاتِ انتظرنا فما
كان ذلك غير كوابيس ليلٍ طويلٍ وقمنا فلا
قدمٌ أو طريق، سقطنا، سقطنا، فغنُّوا لهذا
السقوطِ، وقولوا وقفنا على أرضنا وانتصرنا

-٢-

ستهربُ مقبرةٌ من أريحا إلى آخر الأرض، تذهب
أمُّ شهيدٍ إلى شاهدٍ من ترابٍ فتلقى حنوداً من
العار ليسوا جنوداً وتلقى بيوتاً من القهقهات،
وسرباً من الطائراتِ التي لا تطير، ولما تُسائل
بعضَ الدموعِ التي غالبتها، سيحملها الشرطةُ
الواقفون إلى آخر الأرضِ عند القبور

-٣-

أعدّوا المراثي لآخر بيتٍ في هذا المخيّم هو الشاهدُ
المرُّ للراحلين على جرحهم، سوف تُبنى
العمارات فوق أحلام طفلٍ صغيرٍ قضى
عندما راوغته البنادقُ عند المساء المُدمّى
أعدُّوا المراثي لكل البيوتِ التي شهدت برقَ هذا
الشتاء الطويل فلا مطرٌ قادمٌ أو
رعود هنا شمسُ هذا السلام الجميل!!!
أعدُّوا المراثي، فقد هجرَ الموجُ شطآنَ غزّةَ،
مات السنونو، وماتت نوارسُ بحرِ النخيل

-٤-

بعد أن وقّع الساسةُ الطيّعون الوثيقة، أُعلن
أنّ السلامَ أتى بالسلام، فقام صغيرٌ من المقعد
الخشبي إلى لوحة الدرس يسأل أستاذهُ عن
مدينةٍ أمُّ أبيه التي كان يوماً لها اسمُ عروس،
قال المعلم أنا لم أرَ غير شيافوشه وشريحوشه
بهذي الدروس

-٥-

ما يُحزنني أنّ الجرحى جُرحوا، ليس بقنبلة
الأعداء، لكن بالتصفيق لزفّ الجرح
بدون وعاء

-٦-

قديماً، توضّأ نجمُ الترابِ بشريانه العدمي،
أتتهُ النساءُ بنعاعِ أشجانهنّ، حلعنَ الثيابَ له
في الحقول، أتى هبّة من نسيم الربيع،
حملنَ، انتظرنَ، رفعنَ على قبره في البراري
الدُعاءَ
إلهي ولد!
وجاء الولد،
بعد عقدين أو ثالثٍ بالتمام
يصدق قول الذي قال شبلد ولدشه
شولد بلدشه

-٧-

هُدم السورُ ومات الحارس
وتغيّر لون الأسواق وبوابات الخان
تعثّر قدمُ الشيخ
على درجات الأقصى
صاع الطفل بباب العامود

احترق التاجُ بدربِ الآلام
والمرأة تبكي
يا الله القدس!
فيُجيب الناقوس اليائس
هذا دربُ اليائس

-٨-

مادا سيقول رئيس الوزراء لوالد خمسة شُهداء
ماتوا حتى يرجع للرملة واللد، وفي أرض
الرملة واللّد الطائرة تحطُّ ليرزلَ منها القائدُ
والورراءُ صيوفاً تحت حراسة جندي أثيوبي أو
روسي سكنوا بيت الوالد
وماذا سيقول القائد؟

-٩-

لا باس. غنُّوا وعنّوا وغنّوا
ادبكوا، زعردوا وزّغوا الشوكولاته
ارفعوا صوت طبلتكم للسماء،
اقطفوا زهرَ هدي البساتين واعطوا الورود لكلّ
الجنود
احضنوهم، وقولوا شلومْ سلام
لا باس، لكن
رجاءً، رجاء
فكّروا الحطةُ ثُمّ غنّوا

-١٠-

هي حاجة النسيان أن ننسى
شاتيلا والزنازينَ الحيفةَ والدماء
هي حاجة النسيان أن ننسى
فما نفعُ البكاء؟؟؟

* رئيس اتحاد الكتاب في الاراضي المحتلة (نقلا عن مجلة الحرية ١٣ ايلول).